العتبة العباسية المقدسة

الخميس

أسبوعية ثقافية

السنة السادسة

العدد ٢٢١

الخميس ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ - ٣١ آذار ٢٠١٦م

تصدر عن أمناء شؤون الفكرية والثقافية وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

كلمة حق

الامامية ويقال لهم إمامية وإثنا عشرية لأنهم يعتقدون ب١٢ إمام ويقال لهم جعفريه لان الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو الذي سنحت له الفرصة بنشر علم أهل البيت لان الأمويين والعباسيين جرى بينهم صراع في عصره فاغتنم الفرصة لنشر العلم فوفد إليه العلماء من كل مكان وقد عد طلابه إلى أربعة آلاف وأكثر ولهذا اشتهر المذهب باسمه و إلا فهو في الواقع مذهب العترة عليهم السلام، وسمي جعفري لان العرف في ذلك الوقت ينسب المذهب إلى أستاذه ومرجعه المعاصر فاشتهر باسمه، وهو في الواقع أستاذ المذاهب كلها كما قال أبو حنيفة: لولا السنتان لهلك النعمان أي السنتان من التي تتلمذ فيها عند الإمام الصادق ع وأئمة المذاهب الأربعة اخذ بعضهم من بعض فأحمد بن حنبل اخذ عن الشافعي والشافعي عن مالك ومالك عن أبي حنيفة وأبو حنيفة عن الإمام الصادق عليه السلام فالإمام الصادق هو منبع العلم وأساسه، ولكن من هوان الدنيا أننا نستدل بشهادات علماء الأزهر الشريف بجواز التعبد بالمذهب الجعفري فهم منذ أكثر من ثلاثين عاما أفتو بذلك بل إن بعض علماء الأزهر يرى أن الفقه الجعفري هو أكمل وأثرى واقرب للحق وروح الإسلام من المذاهب الإسلامية الأخرى وعلى رأسهم الشيخ محمود شلتوت الذي ترأس الأزهر في حياته وأصبح المذهب الجعفري من المواد التي تدرس في الأزهر الشريف ويشكل المذهب الجعفري نصف مسلمي آسيا وثلث مسلمي العالم.

المستبصرة حسينة حسن الدريب

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه/١٣٢

لقد فرض الله تعالى علينا أن نأمر أنفسنا وأهلنا بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم/٦ ،وذكر بعض مراجعنا العظام أنه: يتأكد وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في حق المكلف بالنسبة إلى أهله ، فيجب عليه إذا رأى منهم التهاون في الواجبات، كالصلاة و أجزائها و شرائطها ، بأن لا يأتوا بها على وجهها ، لعدم صحة القراءة و الأذكار الواجبة ، أو لا يتوضئوا وضوءاً صحيحاً أو لا يطهروا أبدانهم و لباسهم من النجاسة على الوجه الصحيح أمرهم بالمعروف على الترتيب المتقدم (ذكره في العدد الأسبق في مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، حتى يأتوا بها على وجهها ، و كذا الحال في بقية الواجبات، و كذا إذا رأى منهم التهاون في المحرمات كالغيبة و النميمة ، و العدوان من بعضهم على بعض ، أو على غيرهم ، أو غير ذلك من المحرمات، فإنه يجب أن ينهاهم عن المنكر حتى ينتهوا عن المعصية ، و لكن في جواز الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بالنسبة إلى الأبوين بغير القول اللين و ما يجري مجراه من المراتب المتقدمة نظر و إشكال.

وجاء في كتاب وسائل الشيعة : عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

لما نزلت هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾جلس رجل من المسلمين يبكي ، وقال : أنا عجزت عن نفسي ، كلفت أهلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :«حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك ، وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك».

وسأل أبو بصير، في قول الله عزّ وجلّ :

﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾.

قلت : كيف أقيهم ؟

قال : «تأمرهم بما أمر الله ، وتنهاهم عما نهاهم الله ، فان أطاعوك كنت قد وقيتهم ، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك».

شرح خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد (لعنه الله)

تقول السيدة : إنّ قتل الأتقياء وأحفاد الأنبياء وإبن الأوصياء ، كان على أيدي الطلقاء الخبيثة ، ونسل العهرة الفجرة .

إنّنا حينما نُراجع التاريخ الصحيح نجد أنّ الذين ارتكبوا فاجعة كربلاء الدامية كانوا من أولاد الحرام !! بدءاً من يزيد ، إلى ابن زياد ، إلى الشمر ، إلى العشرة الذين سحقوا جسد الإمام الحسين (عليه السلام) بعد شهادته ، بحوافر خيولهم !! ولإلتحاق كلّ واحد منهم بأبيه قصّة مذكورة في كتب (علم الأنساب).

فقد جاء في التاريخ: أنّ إمرأة نصرانية إسمها: (ميسون بنت بجدل الكلبي) زَنَت مع عبد أبيها، فحملت بـ (يزيد) وبعد الحمل بشهور تزوّجها معاوية.

وأمّا عبيد الله بن زياد ، فإنّ أمّه (مرجانة) كانت مشهورة ـ عند الجميع ـ بالزنا المُستمرّ !!

وكلام الإمام الحسين (عليه السلام) مشهور وصريح بأنّ عبيد الله وأباه زياد كانا إبنَي زنا ، حيث قال الإمام : (... الا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين : بين السلّة والذلّة ، وهيهات منّا الذلّة ...) .

وقد رويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال : (قاتل الحسين (عليه السلام) ولد زنا).

(تَنطف أكُفّهم من دمائنا)

تنطفُ : تقطرُ أو تسيل.

والظاهر أنّ هذا الكلام ـ أيضاً ـ إستعارة بلاغيّة ، وتعني السيدة زينب (عليها السلام) تلك الأيدي والأكفّ التي كانت تضرب بسيوفها ورماحها على أجسام آل رسول الله : الإمام الحسين ورجال أهل بيته وأصحابه ، فتتقاطر أكفّهم وسيوفهم من دماء أولئك الطيّبين .

(وتتحلّب أفواههم من لحومن)

تتحلّب : يُقال : حَلَبَ فلانٌ الشاة أو الناقة : أي : إستخرج ما في ضَرعها من اللبن ، واستحلب اللبن : إستدرّه .(٣) وتحلّب فوه أو الشيء : إذا سال.

لعل المراد : أنّه كما أنّ ولد الناقة تتحلّب وتمتصّ بفمها الحليب من محالب أمّها ، كذلك كان الأعداء يمتصّون بأفواههم من لحوم ودماء آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مصّاً قوياً بدافع الحقد والبغضاء !!

وهذه ـ أيضاً ـ إستعارة بلاغيّة وكناية عن شدّة حقدهم وعدائهم .

ويُمكن أن تكون هذه الكلمة إشارةً إلى ما فعلته (هند) جدّة يزيد ـ في غزوة أحد ـ : من شقّها لبطن سيّدنا حمزة بن عبد المطّلب ، وإخراجها كبده ، ثم وضعه في فمها ومحاولتها أن تمضغه وتأكل منه ، حقداً منها عليه ، لكونه عمّاً لرسول الله ، وقائداً كفوءاً في جيش المسلمين.

(تلك الجُثث الزاكية ، على الجَبوب الضاحية)

الجَبوب : وجه الأرض الصلبة وقيل : الجَبوب : التُراب.

الضاحية : يُقال ضحا ضَحواً : برز للشمس ، أو أصابه حرّ الشمس ، وأرض ضاحية الظلال : أي : لا شجر فيها.

إخبار من السيدة زينب (عليها السلام) عن مصيبة بقاء الأجساد الطاهرة على وجه الأرض عدّة أيام .. من غير دفن، تصهرها الشمس بأشعّتها المباشرة، كلّ ذلك .. رغم كونهم سادات أولياء الله تعالى .

(تَنتابها العواسل)

تنتابها : تأتي إليها مرّة بعد مرّة .

العواسل ـ جمع عاسِل ـ : وهو الذئب وقيل : العواسل ـ جمع عسّال ـ : وهو الرمح .

و إنّ المقصود من (العواسل) : هم الذين حضروا يوم عاشوراء لقتل الإمام الحسين (عليه السلام) والصفوة الطيبة من ذريته وأهل بيته واصحابه . عبّرت السيدة زينب (عليها السلام) عن أولئك الاعداء بالذئاب ، لأنّهم كانوا يحملون صفة الذئاب وهي الإفتراس ، وقد استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) هذا النوع من الإستعارة في خطبته التي ألقاها قبل خروجه من مكّة نحو العراق ، حيث قال ـ فيها ـ : (... . خُيّرَ لي مصرع أنا لاقيه ، وكأنّي بأوصالي تُقطّعها عُسلان الفلوات ، بين النواويس وكربلاء ...).

وبناءً على هذا .. يكون المقصود من كلمة (تَنتابه) الهجوم المتوالي والغارات المتتالية التي كان الأعداء يَشنّونها على أصحاب الإمام الحسين وخيامه .. يوم عاشوراء .

وهذا الشيء لم يحصل بطبيعة الذئب والمفرسين لان أجساد ال محمد حرمت على المفترسين حيث قال الامام علي الهادي عليه السلام (لحوم بني فاطمة محرمة على السباع)، وقد استحلوها هؤلاء الاوغاد الولاد الزنا وقدر حرمها الله تعلى حتى على السباع.

إعداد / علاء الأسدي

كيف نحيي صلاة خاشعة

– إن الذين يريدون أن تصلهم هذه الرحمة، فليتأملوا في هذه الرواية.. ورد في الخبر عن الصادق ﷺ: (إنّ آخر عبد يُؤمر به إلى النار يلتفت فيقول الله عزّ وجلّ: أعجلوه، فإذا أُتي به قال له: يا عبدي!.. لمَ التفتّ؟.. فيقول: يا ربّ!.. ما كان ظني بك هذا، فيقول الله جلّ جلاله: عبدي، وما كان ظنك بي؟!.. فيقول: يا ربّ!.. كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي، وتسكنني جنّتك.. فيقول الله: ملائكتي!.. وعزّتي وآلائي وبلائي وارتفاع مكاني، ما ظنّ بي هذا ساعة من حياته خيراً قطّ، ولو ظنّ بي ساعة من حياته خيراً، ما روّعته بالنار.. أجيزوا له كذبه، وأدخلوه الجنّة)!.. هنا قد يقول قائل: إذا كان الأمر بهذه البساطة، فإن الكل يدّعي هذا الإدعاء، فلا يبقى أحد في النار.. ولكن ليس كل واحد يتعلم هذا البيان، نقول في الدعاء: (اللهم!.. لقني حجتكَ يوم ألقاك)؛ أي لقني الحجة لأتكلم بما يرضيك.

– ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. إن العبد من العالمين، فما وزنه بين يدي الله عز وجل؟.. من هو حتى يقيم لنفسه وزناً، فيستكثر على الله –عز وجل– أن يتبناه بالرعاية لو أراد.. إن المرأة التي تشتكي من زوج فاسق فاجر، فلتنظر: أين هذا الزوج من فرعون الذي قال: ﴿..أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾؟.. وإذا بزوجة كآسيا تخرج من هذا البيت الفرعوني، وتقول كلمةً ما قالها نبيٌّ في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾.. هذا البيتَ اللذي ليس فقط مائدة لدُنية كمائدة مريم، إنما هو بيتٌ عند الله، هذا غير بيوت الجنة، لأن الله –عز وجل– هو الباني، لا الملائكة التي تبني القصور في الجنة.. فمن تعهد آسيا بالرعاية والتربية؟.. إنها امرأة مسكينة محبوسة، وإذا بها تصل لهذه الدرجة!..

– إن الإنسان بإمكانه أن يعيش هذا الجو، كلما رأى عوامل الإغراء والفساد والوحدة والوحشة وانقطاعه عن السُبل.. فعلماء الأخلاق يقولون: تصيدوا ساعات غفلة الناس، ومواطن الغفلة ..فمثلا: لو ذهب الإنسان إلى القطب الشمالي، بإمكانه أن يفرد سجادته، ويصلي ركعتين على تلك الثلوج، ويقول: صليتُ في قارة ما صلى عليها أحد.. والذي يذهب إلى قاع البحر، أيضا بإمكانه أن يقوم بهذا العمل.. إنه ابتكار جيد، فهذه صفقات مع رب العالمين. فليحاول أن يُثبت المؤمن أنه طالب، وأنه مُصر.

– إن الإسلام لا يمنع الإنسان أن يتفاعل مع كل علم يأخذ بيده إلى الله –عز وجل– (اطلبوا العلم ولو في الصين)، والعاقل المؤمنُ يقرأ التراث الإنساني، ويأخذ منه ما ينسجم مع الخط الرسالي.. هناك اصطلاحان في علم العرفان والأخلاق، يسمونه اليقظة والطلب:

الخطوة الأولى: هو تعبير الفخ، إنه تعبير غير جيد، ولكنه أداة للجذب من أجل أن ندخل عالم اليقظة، لنستيقظ على واقعنا.. أي واقع هذا؟.. إنسان مؤمن متخصص في الذرة، ولكنه لا يفهم أحكام الغسل وما شابه، والثقافة التفسيرية كذلك.. إن الإنسان في بعض الأوقات أمام شهوة بسيطة، يبيع الأول والتالي.. (الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا)، لذا جاء الأنبياء المصلحون، لإيقاظ بني آدم، فهم تارةً ينقذون الأفراد، وتارةً ينقذون الأمم.. فالحسين –عليه السلام– في يوم عاشوراء، أوقظ نيام الأمة بدمه الطاهر.

الخطوة الثانية: الطلب، ما الفائدة أن يستيقظ الإنسان في جوف الليل لحظات، ثم يرجع نائماً؟.. هذه اليقظة الموسمية، لا تنفع طالما فتحنا عيوننا في شهر محرم، وفي شهر رمضان، وفي الحج وفي العمرة، وكل مرة نفتح العينين ثم نغلقهما في سبات عميق ..الطلب، أن يتحرك الإنسان بصدق، من المعروف أن الذين يرجعون إلى الله بعد سنوات من المعصية، هؤلاء يتفوقون في سيرهم وحركتهم؛ لأنهم يعيشون حالة من الخجل من الله.. فالله –عز وجل– لا يحب أن يرى عبده خجلاً .

– أحدهم يقول: بعد سنوات طويلة من الاستئجار، جمعت مبلغا من المال لأشتري به بيتاً، وضعت هذا المال في مكان ما في المنزل، يقول: جاءنا ضيف محترم، وإذا بهذا الضيف يعرف أن هناك مالا، فأخذ المال كله وذهب.. يقول: اتفقنا على ألا نكشف سره لأحد، والسبب أن هذا إنسان من عائلة وجيهة، فلو ذهب ماء وجهه لذهب ماء وجه العائلة.. ومرت الأيـام، يقول: كنت في حرم الرضا –عليه السلام– وإذا بهذا السارق أمام عيني، وكأنه كان يريد أن يذهب إلى الحج، قال: يا فلان!.. أتبرئني الذمة وأشار إلى الحادثة، قلت له: اذهب، لا أريد أن أراك، لماذا؟.. يقول: لا أريد أن أراك وفي وجهك ذل الاعتذار، سامحتك، وأنا لا أتحمل أن أراك بهذا الشكل، وأنت خجل مني.

عبد من عباد الله، لا يتحمل خجل سارق وسرق كل ما عنده، فكيف برأفته جل جلاله وعم نواله؟!..

– نريد أن نقول لله –عز وجل– يا رب: ترى حالنا، وترى ما نحن فيه.. كلما وضعنا أيدينا على زاويةٍ من زوايا الحياة، وجدنا فيها خراباً.. فأوضاعنا كلها لا تبشر بخير.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أو ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فإن هذه الآية فيها قراءتان: ﴿مَالِكَ﴾ وَ ﴿مَلِكَ﴾، ولكل منَ الكلمتين معنى يغاير المعنى الآخر.. أما (المَلِك) فهذه الكلمة مأخوذة من المُلك، و(المالك) مأخوذة من الملك وبينهما فرق.. المَلِك: هو ذلك الإنسان، أو ذلك الموجود الذي له الهيمنة على الشيء، من دون أن يكون مالكا له أيضا، كمَلِك المملكة، فهو يحكم شعبا، ويحكم المقدرات؛ ولكنه لا يملك مَن على وجه الأرض.. فهو مَلِك، وليس بمالك.. وفي بعض الأوقات، لا يكون الإنسان مَلِكا، بل يكون مالكا؛ أي مأخوذ من الملِك، لا من المُلك.

فلسفة المحن و الابتلاء

طبيعة الدنيا..

إن رب العالمين جعل الدُنيا محدودة في إمكاناتها، لذا هُناكَ تنازع حول المال، وحول الحُكم، وحولَ الرئاسة.. فالإنسان لهُ مبتغيات كثيرة في هذه الحياة الدُنيا؛ ولكنهُ لا يحقق إلا القليل مما يحبُ ويرضى.. هُنا يأتي دور البلاء والمحن، وأئمة أهل البيت -عليهم السلام- أسوةً بجدهم المصطفى -صلى الله عليه وآله- تجرعوا غليظَ المحن.. فالإمام موسى بن جعفر عليه السلام -الذي هو ابن الإمام الصادق عليه السلام وحفيد الباقر عليه السلام اللذينَ ثُنيت لهما الوسادة في مدينة رسول الله -صلى الله عليه وآله-.. حيث أن مئات المُحدثين كانوا يتحلقون حول الإمامين الصادقين (عليهما السلام) في مسجد النبي -صلى الله عليه وآله-، ولولا الصادقان (عليهما السلام) لابتلينا بالفقر الحديثي في تراث الإمامية- هذا الإمام بدلاً من أن يكون في مسجد جده رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وبدلاً من أن يكون على كُرسي الفُتيا والعلم والتدريس كأبويه؛ وإذا به في سجون الظالمين، يُنقلُ من سجنٍ إلى سجن، إضافة إلى التعذيب الذي تعرضَ لهُ إلى أن قُتلَ مسموماً شهيداً.. هذه هي طبيعة الدُنيا؛ رب العالمين ما تركَ نبياً ولا ولياً ولا وصياً؛ إلا ابتلاه.

أنواع البلاء..

إن المؤمن يستعد للفتن والبلاء، فالإنسان أيام شبابه قد يعيش شيئاً من الصحة والعافية، وأنس الحياة الزوجية.. ولكن مع الأفول التدريجي للصحة والعافية، وتقدم العمر؛ فإن هُناك بلاءين يحلان بالإنسان من سن الخمسين فما فوق:

أولاً: ضعف القوى الشهوية.. فالإنسان المتقدم في السن، ليست لهُ لا شهية في الطعام، ولا شهيةُ النساء، كشاب في العشرين مثلاً.

ثانياً: العوارض البدنية.. إن هذا البدن كأي دابة تنتابه الأعراض والأمراض.. وربما قليل ممن هم في سن الخمسين، لا يشتكون من ألم في بدنهم.

هذا بالإضافة إلى البلاءات الاستثنائية: في ماله، وفي أهله، وفي ولده.. يكفي هذان العارضان؛ أي ضعف القوى من ناحية، وتوارد البلاء من ناحية.. وكُلما امتدَ به العُمر، تكثر عليه البلاءات والفتن، إلى أن يتوفاه الله عز وجل.

كيف نواجه البلاء؟..

إن آية الاسترجاع التي تقرأ عادةً في المصائب والمحن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؛ من الآيات المظلومة في القرآن كباقي القرآن الكريم.. فيوم القيامة القُرآن يشتكي، والمساجد أيضاً تشتكي من عدم توقيرهما حق التوقير.. هذه الآية لها سابقة ولها لاحقة، فالقُرآن كالحلقات المتشابكة؛ لابدَ أن تقرأ الآيات بشكل متكامل.. فالآيتان السابقتان هما:

١- ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾.. فمعنى الآية -كما في تفسير الميزان-: «-و الله أعلم- ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم، ومقابلته مع الحياة، وكما يعين على هذا القول حواسكم، فليسوا بأموات بمعنى البطلان، بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به».. فالذي لا يتعامل مع النبي -صلى الله عليه وآله- مُعاملة الحي؛ هذا لا يشعر ولا يفهم؛ لأنَ النبي -صلى الله عليه وآله- لم يمت، بل انتقل من مكان إلى مكان.. فلو كانَ النبي ميتاً، لعاملناهُ مُعاملة الحجر والمدر.. ولكن النبي تركَ هذا البدن الأرضي، وانتقلَ إلى مقعد صدق عندَ مليك مُقتدر.

٢- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعْ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.. إن الآيات محكمة السبك، فمن يستوعب هذه الآية سيكون مطعماً بطعم لا يمكن أن يؤثر فيه بلاء؛ لأن البلاءات هيَ عبارة عن هذه الأمور التي ذكرها القرآن الكريم: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾.. فأي نقص في الحياة، تنطبقُ عليه هذه العناوين الثلاث.. كأن الآية تُريد أن تقول: -والله العالم- أنهُ إن كانَ ولابد من البلاء، فهنيئاً لمن كانَ آذاهُ في سبيل الله عز وجل!.. البعض تكون ميتته في حادث سير، كميتة المقاتل في الجبهات.. فموت المقاتل على الجبهات يكون تارة: بانفجار قذيفة فلا يعلم مرارة الموت أبداً، إن كانَ شهيداً وهو جالس وإذا به ينتقل إلى أحضان الحور العين.. وتارة بإصابته بجروح، أو بشظية، أو برصاصة، فلا مسعف ولا معين فينزف إلى أن يموت.. وهذه أصعب ميتة، لأنه لا يموتُ مباشرة، بل يعاني من ألم الجراح والنزيف، وترقب الموت في كُل لحظة.. هذه الميتة يعيشها بعض من يُبتلى بحادث سير؛ فينزف إلى أن يموت في سيارته، ولا يستطيع أحد إخراجه منها.. هذه ميتة وهذه ميتة، ولكن شتانَ بينَ الميتتين!.. هذا عندما تُسكب أول قطرة دم من شهيد، رب العالمين يتجاوز عن كُل سيئاته، إلا حقوق الناس، ولكن أيضاً رب العالمين يُرضي خصومه كما يشاء!..

حكم زيارة النبي ﷺ

إن الموت والحياة هما من خلق الله تعالى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.. ومن هنا علينا أن نعلم بأن الإنسان سواء كان مؤمنا، أو كان فاسقا؛ فإنه لا يموت موتا حقيقيا.. حيث أنه لا معنى للفناء، وعندما نزور أهل القبور ونقول: (اللهم!.. رب هذه الأرواح الفانية، والأجساد البالية).. فإن الأجساد البالية، معنى حقيقي معقول.. وأما الأرواح الفانية، فقطعا لا يراد منها المعنى الدقيق.. والمراد هنا بالأرواح الفانية، أي الأرواح التي فنت باعتبار الدنيا.. فهذه الروح عند ما تنتقل من الدنيا، فإن الدنيا تكون قد خليت منها؛ أي الدنيا ما قبل عالم البرزخ.. فإذن، الشهداء عند ربهم يرزقون، وكذلك غير الشهداء عند ربهم يحاسبون.. فالنبي ﷺ عندما ألقى قتلى المشركين في بئر بدر أخذ يكلمهم، فبعض الصحابة استغرب من ذلك!.. فقال النبي ﷺ: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم!.. ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني)؛ أي أنهم يسمعون ما أقول.. ومن المعلوم أن الاستماع والسمع من خصوصيات الحي.

وبالتالي، فإننا عندما نذهب إلى قبر الميت القريب، أو إلى قبر الميت الذي هو من الأولياء؛ كقبر النبي الأكرم ﷺ؛ فإنما نحن نقدس ونمجد ذكرى ذلك الإنسان لقرابته منا مثلا: فبر الوالدين في الحياة، يكون بشكل مغاير عن برهم بعد الممات.. فعندما يزور الإنسان ذلك القبر؛ فإنه يذكر صاحبه بخير، أو بعمل صالح، أو بغير ذلك، وهذه قضية فطرية أممية.. والإسلام لم يأت ليرفع جميع الحركات الفطرية الأممية المقبولة، فعندما جاء الإسلام أقر العقود والإيقاعات ومعاملات الناس وأعرافهم، إلا ما خرج بالدليل: كالربا، والقتل، والزنا، ووأد البنات، وما شابه ذلك.نلاحظ هذه الأيام، أن كل أمة تمجد ذكريات أبطالها: كأبطال الأمة في المجال العلمي، وفي المجال العسكري، وفي المجال الثقافي.. فتزور قبورهم، بل أنهم يصنعون قبورا وهمية باسم الجندي المجهول مثلا.. فكيف إذا كان المدفون نبياً معلوماً من أنبياء الله العظام؟.. الإنسان عندما يذهب إلى قبر النبي ﷺ يجسد قوله: أشهد أن محمدا رسول الله، ويجسد ولايته للنبي ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.. فهذه المودة لها انعكاس في القلب، ولها آثار في الفؤاد.. وللمحبة أيضا، آثار في الخارج.. فمثلا: عندما يهدي الإنسان صديقه، أو يزوره؛ فإنه بهذا العمل يظهر المودة والمحبة له.

فإذن، إن طبيعة الناس: فطرة، وعادة؛ قائمةٌ على تكريم الأشخاص في حياتهم، وفي مماتهم.. أضف إلى الكتاب والسنة: فالقرآن الكريم يقول في سورة التوبة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.. فعدم القيام على القبر، يكون بالنسبة إلى المنافقين.. وبالتالي، فإنه لا عتب في القيام على قبر الصالحين.. ويلاحظ في السنة المطهرة أن النبي ﷺ كان يزور أهل القبور، ففي صحيح مسلم: روي عن عائشة أنها قالت: (كان النبي ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.. اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد)!.. وفي صحيح مسلم، وكذلك في الترمذي، وفي النسائي ورد أن النبي ﷺ كان يزور الأموات: يزورهم للعبرة، ويزورهم للسلام أيضا.

إن البعض عندما يستمع إلى صيغة من الصيغ التي يستعملها النبي ﷺ، يحاول أن يجمد على تلك الصيغة.. فالنبي ﷺ زار أهل القبور، وسلم عليهم.. فإذا زاد الإنسان، أو نقص، أو جاء بعبارة أخرى؛ فإنه لا يكون قد ارتكب بدعة في ذلك!.. فالنبي ﷺ لا يريد أن يعلمنا الحروف ولا الكلمات؛ وإنما يريد أن يعلمنا جوهر العمل، بمعنى أنكم زوروا بقيع الغرقد، واذكروا ما شئتم!..

فالسلام صيغة من صيغ التكريم، وقد يقوم الإنسان بإلقاء محاضرة في البقيع في وصف المدفونين: من نساء النبي ﷺ، ومن أصحابه، ومن ذريته.. فهذا أيضاً من صيغ التكريم.. وعليه، فإنه لا ينبغي أن نحصر الأمر في صيغة خاصة، حتى أن الإمام السبكي الشافعي له كتاب بعنوان: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام)، وقد ذكر الروايات المختلفة، على استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، وبيّن أن الاستحباب أمر مجمع عليه بين المسلمين.. وطبعاً نصوص أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال حدّث ولا حرج.. روى الصدوق بسنده عن الرضا عليه السلام أن النبي ﷺ قال: (من زارني في حياتي وبعد موتي، فقد زار الله تعالى) .. وعن الإمام الصادق عليه السلام: (من أتاني زائراً، كنت شفيعه يوم القيامة).. حتى أنه روي أن النبي ﷺ كان يذهب إلى بعض المساجد المباركة قاصداً للصلاة فيها، ولا يعتبر هذا الأمر وقفاً على بعض المساجد.. فمسجد قباء من المساجد التي كان النبي ﷺ يأتيها راكباً وماشياً، فيصلي فيها ركعتين.. رواه البخاري، كما رواه مسلم.

رحيل ابنتي

احمد السيلاوي

الحلقة الثانية

شاءت الأقدار أن تفتح الشركة التي اعمل بها فرعا في الولايات المتحدة الأمريكية..وعرضوا علي منصب المدير العام هناك فوافقت..ولم ينقضي شهر واحد حتى كنا في أحضان أمريكا مع زوجتي واحمد وياسمين..بعد مضي قرابة الشهرين على وصولنا إلى أمريكا عاودت الآلام ياسمين فأخذتها إلى دكتور باطني متخصص..فقام بفحصها وقال: ستظهر النتائج بعد أسبوع ولا داعي للقلق ادخل كلام الطبيب الاطمئنان إلى قلبي..وسرعان ما حجزت لنا مقاعد على اقرب رحلة إلى مدينة الألعاب وقضينا وقتا ممتعا مع ياسمين..بين الألعاب والتنزه هنا وهناك .. وبينما نحن في متعة المرح.

.رن صوت هاتفي النقال..فوقع قلبي..لا أحد في أمريكا يعرف رقمي..عجبا أكيد الرقم خطا..فترددت في الإجابة..وأخيرا ضغطت على زرالإجابة..

- الو..من المتحدث ؟؟ - اهلا يا حضرة المهندس..معذرة على الإزعاج فأنا الدكتور ستيفن..طبيب ياسمين هل يمكنني لقائك في عيادتي غدا ؟ -وهل هناك ما يقلق في النتائج ؟! في الواقع نعم..لذا أود رؤية ياسمين..وطرح عدد من الأسئلة قبل التشخيص النهائي..-

حسنا سنكون عصر غد عند الخامسة في عيادتك إلى اللقاء..

اختلطت المخاوف والأفكار في رأسي..ولم ادر كيف أتصرف فقد بقي في برنامج الرحلة يومان وياسمين في قمة السعادة لأنها المرة الأولى التي تخرج فيها للتنزه منذ وصولنا إلى أمريكا. ذهبت الى العيادة استهل الدكتور ستيفن حديثه لياسمين بقوله: - مرحبا ياسمين كيف حالك ؟ - جيدة ولله الحمد.. ولكني أحس بآلام وضعف ، لا ادري مم ؟ وبدأ الدكتور يطرح الأسئلة الكثيرة..وأخيرا طأطأرأسه وقال لي: - تفضل في الغرفة الأخرى..

وفي الحجرة انزل الدكتور على رأسي صاعقة..تمنيت عندها لو أن الأرض انشقت وبلعتني..قال الدكتور: - منذ متى وياسمين تعاني من المرض ؟ قلت: منذ سنة تقريبا وكنا نستعمل المهدئات وتتعافى ..فقال الطبيب: ولكن مرضها لا يتعافى بالمهدئات..أنها مصابة بسرطان الدم في مراحله الأخيرة جدا..ولم يبق لها من العمر إلا ستة اشهر..وقبل مجيئكم تم عرض التحاليل على أعضاء لجنة مرضى السرطان في المنطقة وقد اقروا جميعا بذلك من واقع التحاليل..فلم أتمالك نفسي وانخرطت في البكاء وقلت: مسكينة..والله مسكينة ياسمين هذه الوردة الجميلة..كيف ستموت وترحل عن الدنيا..وسمعت زوجتي صوت بكائي فدخلت ولما علمت أغمى عليها..

وهنا دخلت ياسمين وابني أحمد وعندما علم أحمد بالخبر احتضن أخته وقال: مستحيل أن تموت ياسمين..فقالت ياسمين ببرائتها المعهودة: أموت. يعني ماذا أموت ؟ فتلعثم الجميع من هذا السؤال..فقال الطبيب: يعني سترحلين إلى الله.. فقالت ياسمين: حقا سأرحل إلى الله ؟!.. وهل هو سيئ الرحيل إلى الله ألم تعلماني يا والدي بان الله افضل من الوالدين والناس وكل الدنيا..وهل رحيلي إلى الله يجعلك تبكي يا أبي ويجعل أمي يغما عليها..فوقع كلامها البريء الشفاف مثل صاعقة أخرى فياسمين ترى في الموت رحلة شيقة فيها لقاء مع الحبيب..

عليك الآن أن تبدأي العلاج..فقالت: إذا كان لابد لي من الموت فلماذا العلاج والدواء والمصاريف..-؟؟

نعم يا ياسمين..نحن الأصحاء أيضا سنموت فهل يعني ذلك بان نمتنع عن الأكل والعلاج والسفر والنوم وبناء مستقبل..فلو فعلنا ذلك لتهدمت الحياة ولم يبق على وجه الأرض كائن حي..

الطبيب: تعلمين يا ياسمين بان في جسد كل إنسان أجهزة وآلات كثيرة هي كلها أمانات من الله أعطانا إياها لنعتني بها..فأنت مثلا..إذا أعطتك صديقتك لعبة..هل ستقومين بتكسيرها أم ستعتنين بها؟

ياسمين-بل سأعتني بها وأحافظ عليها..

الطبيب : وكذلك هو الحال لجهازك الهضمي والعصبي والقلب والمعدة والعينين والأذنين ، كلها أجهزة ينبغي عليك الاهتمام بها وصيانتها من التلف..والأدوية والمواد الكيميائية التي سنقوم بإعطائك إياها إنما لها هدفان..الأول تخفيف آلام المرض والثاني المحافظة قدر الإمكان على أجهزتك الداخلية من التلف حتى عندما تلتقين بربك وخالقك تقولين له لقد حافظت على الأمانات التي جعلتني مسؤولة عنها..ها أنا ذا أعيدها لك إلا ما تلف من غير قصد مني..

ياسمين : إذا كان الأمر كذلك..فأنا مستعدة لأخذ العلاج حتى لا اقف أمام الله كوقوفي أمام صديقتي إذا كسرت لعبها وحاجياتها..مضت الستة اشهر ثقيلة وحزينة بالنسبة كأسرة ستفقد ابنتها.. وعكس ذلك كان بالنسبة لابنتي ياسمين فكان كل يوم يمر يزيدها إشراقا وقربا من الله تعالى..قامت بحفظ سور من القرآن..وسألناها لماذا تحفظين القرآن ؟

قالت: علمت بان الله يحب القرآن.. فأردت أن أقول له يا رب حفظت بعض سور القرآن لأنك تحب من يحفظه.. وكانت كثيرة الصلاة وقوفا..وأحيانا كثيرة تصلي على سريرها..فسألتها عن ذلك فقالت: سمعت إن رسول الله ﷺ يقول: (قرة عيني الصلاة) فأحببت أن تكون لي الصلاة قرة عيني...

وحان يوم رحيلها..واشرق بالأنوار وجهها..وامتلئت شفتاها بابتسامة واسعة..وأخذت تقرأ سورة (يس) التي حفظتها وكانت تجد مشقة في قراءتها إلى أن ختمت السورة ثم قرأت سورة الحمد وسورة (قل هو الله أحد) ثم آية الكرسي..ثم قالت: الحمد لله العظيم الذي علمني القرآن وقوى جسمي للصلاة وساعدني وأنار حياتي بوالدين مؤمنين مسلمين صابرين ، حمدا كثيرا أبدا..واشكره بأنه لم يجعلني كافرة أو عاصية أو تاركة للصلاة..أغمضت عينيها وهي مبتسمة ورحلت إلى الله رب العالمين ....ثم أجهش الأب بالبكاء وبكى بكاء مريرا جعل كل من في قاعة المقهى في الفندق يلتفتون إلى الزاوية التي نحن فيها فقلت له: هون عليك فهي في رحمة الله وكنفه ورعايته ، فليرحمها الله ويلهم قلوبكم الصبر على فراقها..فقال: رحمة الله عليها فقد كانت ابنة بارة مؤمنة قانتة لم تترك صلاتها ولا قرآنها حتى آخر لحظات عمرها .. تغمدها الله بواسع رحمته وأسكنها فسيح جنانه.

وظائفنا في زمن الغيبة

الحلقة الأولى

إن العمل فرعٌ للمعرفة، والذي لا يعرف تكليفهُ لا يؤدي دوره.. لذا، فإن من أهم الأبحاث في زمان الغيبة، أن نتعرف على هذه التكاليف وعلى هذه الوظائف.. ومن هذه الوظائف التوسل.. وعليه، فإنه من الضروري جداً أن نعرف الخلفية الفكرية والإعتقادية والمعرفية لهذا العمل.. كثيرٌ منا يستعمل اصطلاح التوسل بأهل البيت عموماً، وعلى رأس من نتوسل بهم؛ النبي الأكرم (ص) وعندما نطلب الحوائج من الله -عز وجل- نقول: (نقدم بين يدي حوائجنا محمدا وآل محمد)، فنجعل النبي هو المحور، ثم نعطف عليه أهل البيت.. وفي خصوص حديث الكساء، هنالك ذكرٌ للزهراء (ع) (فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها)، وهذا قطعاً لا يعني أنها أفضل من أبيها أبداً، ولكن النبي الأكرم هو مركز الشفاعة، أليس هو القائل: (ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)!..

وظائفنا في زمان الغيبة:

- التوسل.. إن من الوظائف في زمان الغيبة التوسل به (عج).. ورد في بعض الروايات توسل بالإمام صاحب العصر والزمان (عج) في الشدائد، منها: (اللهم!.. إني أسألك بحق وليك وحجتك صاحب الزمان، إلا أعنتني به على جميع أموري، وكفيتني به مؤنة كل مؤذ وطاغ وباغ، وأعنتني به فقد بلغ مجهودي، وكفيتني كل عدوّ وهمّ وغمّ ودين، وولدي وجميع أهلي وإخواني ومن يعنيني أمره وخاصتي، آمين رب العالمين).. الإنسان عندما تنقطع به السُبل، يتوجه بالخطاب إلى صاحب الأمر صلوات الله عليه.. حيث أن هنالك خصوصية في إمام زماننا لنا نحنُ، وهي أنه الإمام الذي سنحشر تحت لوائه يوم القيامة.

ما هي حقيقة التوسل؟..

إن أئمة أهل البيت (ع) وعلى رأسهم النبي (ص)؛ هؤلاء كلهم مخلوقون لله عز وجل.. رب العالمين عندما يخلق الخلق، يخلق الذات ويعطيها القابليات؛ فهو مبدأ الفيض ومبدأ الخير.. طبعاً هذه القابليات استثمرها النبي والمعصوم، فبلغ ما بلغ، ولو أن الله -عز وجل- خلق المعصوم معصوماً من دون مجاهدة، لما كان في ذلك فضل.. ولكن لماذا أعطى القابليات لهؤلاء؟.. فذلك بحثٌ آخر ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.. هذه البذرة فيها القابلية أن تكون ثمرة، وهذه الثمرة فيها قابلية أن تكون شوكة.. لماذا هذه القابلية هنا، وهذه القابلية هناك؟.. ورد في الحديث النبوي الشريف: (الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضة).

وعليه، فإن الكلام في أن هؤلاء مخلوقون، ونحنُ عندما نتوسل بهم، نطلب من الله -عز وجل- بجاه هؤلاء أن يستجيب لنا.. لأن أحدنا بسبب ذنوبه، وعلاقته المتوترة مع رب العالمين -إن صح التعبير- كأنهُ يقول: يا رب!.. أنا ليس لي وجه أن أطلب منك طلباً، أنا إنسان الذنوب أخرسته، وحبست دعاءه، كما نقرأ في دعاء كميل: (اللَهُمَّ!.. اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتي تَحْبِسُ الدُّعاءَ)، فأقدم بين يدي حوائجي من أمرت بحبهم، وصلتهم، وأمرت بالتوسل بهم.. فإذن، إن القضية فيها هدفان:

الهدف الأول: التوسل بالله عز وجل، ولكن لفرط ذنوبنا ومعاصينا وقلة وجاهتنا لديه، نتوسل بمن أمر رب العالمين بالتوسل بهم؛ وهذا أمر شائع في حياة البشر.. مثلا: ولد عندهُ علاقة متوترة مع أبيه، الأب لا يستجيب طلبه؛ لأنه ابن عاق ومتمرد.. ولكن علاقتهُ طيبة بأمه؛ قد يذهب إلى الأم ويطلب منها أن تتوسط له عند أبيه؛ لأن الوالد يحترم الأم، ومن ناحية الولد لا يجرؤ أن يكلم أباه.. فيقدم الواسطة؛ وهو تعبير متعارف جداً.. هذا التعبير «الواسطة» هو من نتوسل به، هل هنالك من لا يجوّز هذا الأمر؟.. حتى موضوع الوساطة إذا لم يكن هنالك إخلال بالقانون، وليس هنالك من تضييع لحق أحد، لا أحد يفتي بحرمتها.. والهدية المعطاة لا تعتبر رشوة، إذا كانت بعنوان «الهدية المتعارفة» لأجل تسريع المعاملة، طبعاً دون إخلال بالقوانين أبداً؛ ليكن هذا القيد معلوماً!..

وبالتالي، فإن تلك الحركة؛ حركة فطرية بشرية.. ورب العالمين أوحى هذا المضمون إلى نبيه الأكرم في حديث، وراوي الرواية سلمان عندما مر بقوم من اليهود، فسألوه أن يجلس إليهم، ويحدثهم بما سمع من محمد -صلى الله عليه وآله- في يومه هذا، فجلس إليهم لحرصه على إسلامهم، فقال: سمعت محمدا -صلى الله عليه وآله- يقول: (إن الله -عز وجل- يقول: يا عبادي!.. أو ليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها، إلا أن يتحمل عليكم بأحب الخلق إليكم تقصونها كرامة لشفيعهم؟.. ألا فاعلموا إن أكرم الخلق عليّ، وأفضلهم لديّ: محمد، وأخوه علي، ومن بعده من الأئمة الذين هم الوسائل إلي.. ألا فليدعني من هم بحاجة يريد نفعها، أو دهته داهية يريد كف ضررها، بمحمد وآله الأفضلين الطيبين الطاهرين، أقضها له أحسن مما يقضيها من تستشفعون إليه بأعز الخلق عليه).. يقول ربُ العالمين: أنتم فيما بينكم تجعلون أحب الخلق إليكم وسائط، وأنا عندي أحب الوسائط هم النبي وآله.. إذن لا غرابة أبداً في هذه المسألة!..

الهدف الثاني: تبيان منزلة الشفيع.. إن الله -عز وجل- عندما يجعل شفعاء في الخلق، يريدُ أن يُبين منزلتهم عند الناس.. مثلا: عندما يُريد الملك أن يقدم هدية لإنسان: بعض الأوقات يختار الملك أباً لشهيد، شخصية متميزة ويطلب منه أن يقدم هذه الهدية نيابة عنه.. هي هدية الملك، ولكن بهذه الحركة أرادَ أن يقول: هذا إنسان مجهول الحال، أردت أن أجرِي الخير على يده لتعرفوا قدره.. فإذن، إن الهدية هي هدية رب العالمين، والكرامة كرامة رب العالمين.. هذه الكرامة يعطيها لعبده.

الخميس
رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زورونا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا.. الهاتف / بدالة ٣٢٣٦٠٠ داخلي ١٦٢
تحرير: السيد محمد العطار
تصميم واخراج: احمد السيلاوي